فنون المشرق الإسلامي

د منى عثمان الغباشي

الفرقة الرابعة قسم الآثار شعبة الآثار الإسلامية

الجزء الثاني من فن صناعة وزخرفة المعادن

المعادن والأحجار النصف كريمة في العصر المغولي الهندي:

لقد اشتهرت الهند منذ القدم بصناعتها المعدنية ذات الجودة العالية وخاصة صناعة الأسلحة، وقد وُجدت تُحفها المعدنية سواء التي صُنعت منذ العصور الوسطى حتى بداية القرن١٤هـ/٢٠م طريقها بحفاوة كبيرة إلى صالات المزادات العالمية التي تدين بجانب كبير من شهرتها إلى التقاليد الصناعية والزُخرفية التي فنون الإسلام إلى الهند.

وقد استمر الصناع في صناعة التُحف المعدنية من النحاس والمعادن الأخرى لاستخدامها في المنازل والمعابد وغالبًا ما كانت تُغلف هذه الأواني بالفضة.

وتُشير العديد من النصوص التاريخية إلى أن سلاطين المغول بدلهي قد أنشئوا ورشًا ملكية لصُناع المعادن والأسلحة، إلا أنه من الصعوبة نسبة قطع من هذه التُحف أو المشغولات المعدنية للهند في تلك الفترة خاصةً أنها لا تحمل نصوصًا تسجيلية تؤكد ذلك، وثمة أسباب أخرى لعل أهمها على الإطلاق أن الأعمال المعدنية كلها كانت مُكفتة بالمعادن الثمينة وتتبع نفس الأسلوب الذي كان يسود العالم الإسلامي منذ القرن ٦هـ/١٢م.

ازدهرت صناعة المعادن في عصر السلطان همايون (١٥٣٠– ١٥٥٥م)في وأصبحت تُعب عن شخصية إسلامية هندية الملامح، وذلك بفضل اهتمام هذا السلطان بعلوم الفلك فعرفت الهند لأول مرة صناعة الإسطرلاب والمُجسمات السماوية من النحاس الأصفر.

وقد أحرز صُناع المعادن الذين توافدوا من جميع أنحاء الهند على الورش الملكية التي شيدها السلطان جلال الدين أكبر نجاحًا كبيرًا للعمل فيها في تحسين تقنيات الصناعة وفي الزخارف الفنية الرائعة، وذلك نظرًا لحرص السلطان على تحسين الطرق الصناعية وابتكار الجديد منها.

ومع ذلك فيذكر البعض أن التُحف المعدنية الإسلامية في الهند لم تكن تمتاز بسمة خاصة، اللهم إلا في الموضوعات الزُخرفية ورسوم الزهور والنباتات التي كان الفنانون الهنود يقبلون عليها بنوع خاص والتي تظهر في هوامش الصور الهندية وزخارف المنسوجات والسجاد.

ومن الأسف لا يوجد أمثلة كافية من التُحف المعدنية التي صُنعت في القرن١٠هـ/١٦م وأوائل القرن١١هـ/١٧م ، بينما يكاد مُعظم التُحف المعدنية الهندية المغولية تؤرخ بالقرنين ١٢-١٣هـ/١٨-١٩م.

وكان الإقبال على الحلي عظيمًا ونبغ في صناعتها الفنون الهنود؛ فقد استخدموا المجوهرات بكثرة والتي صُنعت من الذهب والفضة ورُصعت بالأحجار الكريمة وزُينت بالمينا، وتحتوي المتاحف العالمية والمجموعات الخاصة بالكثير منها. وقد كانت الهند مركزًا حيويًا للفنون المرصعة بالجواهر لعدة قرون، حيث أن مناجمها تنتج الذهب والماس والعديد من الأحجار الكريمة وشبه الكريمة.

الطرق الزُخرفية: تعددت الطرق المُستخدمة في زخرفة المُنتجات المعدنية المتنوعة، وتتمثل فيما يلي:

١- الزخرفة بالحفر

٢- الزخرفة بالتكفيت: وهو زخرفة المعدن الأصلي بمعدن آخر أكثر منه في الأهمية ومُختلف عنه في اللون.

٣- الزخرفة بالمينا المُتعددة الألوان والتي كانت تُستخدم مع التكفيت أيضًا.

٤- زخرفة البدري

٥- زخرفة البيمبارثي

٦- زخرفة دوكرا

زخرفة البدري: اشتهرت الهند في العصر المغولي بإنتاج نوع من المشغولات المعدنية عُرفت باسم بدري نسبةً إلى مدينة بيدار بالدكنعلى بُعد حوالي ١٢٠كم شمال غرب حيدر آباد، وتشبه في طريقتها الصناعية أسلوب التكفيت المعروف في الصناعات المعدنية الإسلامية.

ويتميز هذا الأسلوب باستخدام سبيكة سوداء من الزنك والنحاس مُغطاة بأوراق رقيقة من الفضة النقية في صناعة التُحف المعدنية والتي كانت توضع على بدن الآنية مباشرة أو تُحفر أماكن الزخرفة ويوضع بها أوراق الفضة.

زخرفة البيمبارثي: هي صناعة معدنية يدوية تُصنع في بيمبارثي بمقاطعة وارانجال، ولاية تيلانجانا في الهند. وهي تحظى بشعبية كبيرة بسبب أعمالهم الفنية. وتتمثل في صناعة الصفائح المعدنية الرائعة من النحاس الدقيق.

زخرفة دوكرا (Dhokra): وهي صب المعادن غير الحديدية في القالب باستخدام تقنية صب الشمع.

الزخارف: تنوعت الزخارف من نباتية وهندسية ورسوم آدمية وحيوانية وطيور وأسماك ومناظر تصويرية وكتابية هذا إلى جانب زخرفة الكوندان.
زخرفة الكوندان : وتُستخدم في زخرفة المشغولات الذهبية وهي زخرفة متطورة من الأشكال والتقنيات المستوحاة من زخرفة الطبق النجمي مع الميل إلى الأشكال والتراكيب الغربية الأوروبية.

الشماعد:
– شمعدان من إيران أو الهند يؤرخ بالقرن ١١هـ/١٧م : وهو على غرار الشماعد الصفوية، قوام زخرفته رسوم الأرابيسك ويتوسط البدن منطقة وسطى من رسوم طيور جالسة يتوسطها شجرة سرو.

– شمعدان نحاسي من العصر المغولي الهندي يؤرخ بالقرن١٢هـ/١٨م: وهو على غرار الشماعد الصفوية العمودية الأسطوانية ويُزخرف بدنه بجامات ذات زخارف نباتية أما القاعدة وقمة البدن فيُزخرف بجامات كتابية.

– شمعدان عمودي من النحاس من العصر المغولي الهندي من القرن ١٢هـ/ ١٨م: وهو مثل نادر مُثير للإعجاب، يتكون من قاعدة علي هيئة قُبة مُفلطحة مُفصصة ترتكز على رقبة أُسطوانية تُزخرف بمُثلثات معدولة ومقلوبة بداخل كل منها بثلاث مُعينات مُفرغة، ترتكز على قاعدة مُستديرة بحافة مُسننة، وتحمل البدن وهو على هيئة عمود مُثمن الأضلاع ومخروطي يستدق كلما اتجهنا لأعلى، ومحصور بين انتفاخات من أعلى وأسفل، فهي من أسفل من انتفاخين؛ سُفلي بصلي مُضلع تُزخرف ضلوعه بخطوط محفورة مائلة لأسفل، ويعلوها حافة مُستديرة مُسننة بارزة للخارج يعلوها الانتفاخ الثاني وهو ذو شكل كأسي مُزخرف بأشكال دخلات معقودة وذات غطاء مقبي يخرج منه البدن الذي يبدأ بإطار أُسطواني بخطوط مُتقاطعة على شكل حرف (X). وينتصف البدن تقريبًا إطارين محفورين وبأعلاه حافة مُستديرة بارزة للخارج.

أما الانتفاخ العلوي فهو على غرار السُفلي من حيث الانتفاخ الكأسي بأسفله القُرص المُسنن. يمتد بعدها البدن ليحمل بيت الشمعة ، وهو قُرص أو صينية صغيرة مُستديرة بأسفلها حافة مقبية مقوسة تنتهي بأشكال مُسننة وكأنها مظلة تُظلل الشمعدان، وتُزخرف بأشكال مُستطيلة معقودة بهيئة العقود المُدببة وأوارق نباتية.

الأباريق والقدور والصناديق: وصلنا مجموعة من الأباريق والقدور والصناديق النحاسية والفضية والفولاذية ذات الأشكال المتنوعة وخاصة في الأباريق الفضية الثرية الزخارف، ومن أمثلتها:

– إبريق نحاسي من العصر المغولي الهندي من شمال الهند ويؤرخ بالقرن ١٢هـ/١٨م: وهو ذو بدن كُمثري ينسحب لأعلى برقبة أسطوانية بفوهة مُستديرةومقبض علي هيئة قُبيبة تتوج بشكل لوزي، ويرتكز على أربعة أرجل، وله بزبوز مخروطي يمتد في موازة الفوهة ومقبض يصل بين الفوهة وبين مُنتصف البدن في بروز كروي وهو على هيئة ثُعبان ينتهي ذيله بشكل لوزي. ويُزخرف البدن بثلاثة أشرطة، أ كبرها أوسطها زُين بمُعينات بداخلها مُعينات أصغر، ويتوسطها جامة لوزية كبيرة بارزة. أما الشريطان العُلوي والسُفليفيُزخرفا بأشكال لوزية، بداخل كل منها خط رأسي. وتُزخرف الرقبة على غرار البدن بأشكال المُعينات.

– إبريق من الفضة من العصر المغولي الهندي: يتكون هذا الإبريق من بدن لوزي الشكل يتسع من أعلى قليلًا ثم يستدق مُنسحبًا لأعلى ليكون رقبة قصيرة أسطوانية تنتهي برقبة بيضاوية مُتموجة وذات غطاء يعلوه مقبض على شكل ريشة، أما القاعدة فهي على هيئة قُبيبة يعلوها قائم أسطواني به حلقة بارزة. وله مقبض مضفور يتصل بمُنتصف البدن ويمتد لأعلى على شكل الأذن ثم يكتد ليتصل بقمة البدن أسفل الفوهة على هيئة رأس ثُعبان. وزُخرف البدن بزخارف الأرابيسك النباتية يتخللها مناظر صيد لصيادين يصطادون الفيلة والأسود بشكل واقعي مُفعم الحركة والحيوية.

– صندوق كروي من الفولاذ المُكفت بالفضة والنحاس الأصفر محفوظ بمتحف سالار جونغ في حيدر آباد من القرن ١٢هـ/١٨م : وهو ذو بدن وغطاء كروي مُفصص، ومُزخرف بأسلوب البدري تُزخرف فصوصه برسم لزهرة القُرنفل بطرق متنوعة وبأسفل الغطاء إطار من فرع نباتي مُتموج تتفرع منه الأوراق والأزهار.

– قاعدة نرجيلة (أرجيلة) من الفولاذ المُكفت بالفضة وقليل من الذهب ومحفوظة وتُؤرخ فيما بين سنتي ١٧٧٥–١٨٠٠م، ومحفوظة بمُتحف سالار جونغ: وهي مُزخرفة بأسلوب البدري، وتتكون من قاعدة مُستديرة مائلة لأسفل وترتكز على عدة أرجل صغيرة ، وترتفع لأعلى لتتصل ببدن بصلي يعلوه قُرص مُستدير يرتفع لأعلى لينتهي بفوهة مُستديرة، ويخرج من البدن بزبوز من قاعدة على هيئة قلب، أما البزبوز فهو أسطواني تُحاط فوهته بحافة مُسننة، ويخرج من أسفلها المقبض ليصل بفوهة البدن على شكل قوس. بزخارف نباتية من زهرة الخُزامي الشهيرة في شمال الهند،وتُحدد بإطارات ذات رسوم مُعينات مُحددة بإطارات صغيرة من حبات اللؤلؤ الساسانية.

تماثيل الأفيال : وصلنا عدة تماثيل للأفيال من الفضة المُنفذة عن طريق الصب في القالب وفيها يُنفذ الفيل يرتكز على قاعدة ويحمل الهودج أو صندوق يتقدمه قائد الفيل، مع تمثيل السروج المُزخرفة والحبال، وتظهر الواقعية الشديدة في تمثيل الأفيال والصناديق والسروج والعمائر، ومن أمثلتها فيل يحمل هودجًا على هيئة جوسق معماري وقد مُثل على غرار نظيره من تماثيل الأفيال العاجية .

– مقلمة ومحبرة من الذهب المرصع بالألماس والياقوت والزمرد تؤرخ بالقرنين ١٠-١١هـ/١٦-١٧م من ديكان أو شمال الهند. بمجموعة آل ثاني بقطر وهي على الطراز الصفوي.

– حليات ذهبية مُرصعة بالأحجار الكريمة : وصلنا مجموعة منها علي هيئة طيور وحيوانات، منها حلية على شكل طائر من الذهب المرصع بالألماس والياقوت والزمرد واللؤلؤ، من شمال الهند القرن١٢هـ/١٨م بمجموعة آل ثاني بقطر .

الحُلي والمجوهرات: وصلنا العديد من نماذج الحُلي التي بعضها من الذهب الخالص فقط، وبعضها من الذهب المُرصع بالأحجار الكريمة ، وبعضها من الأحجار الكريمة وشبه الكريمة. وتتمثل فيما يلي :

– مجموعة من القلادات والأساور والأقراط الذهبية ذات زخارف مُنفذة بالحفر والخواتم الذهبية.

– مجموعة من القلادات والأساور والأقراط من الذهب المرصع بالماس والياقوت والزمرد وغيرها

– حليات من عمامات السلاطين والأمراء من الذهب المرصع بالماس والياقوت والزمرد وغيرها وبعضها من الذهب الأبيض المُرصع، وتوضع في مُقدمة العمامة. وبعضها تأخذ شكل دبوس وبعضها تأخذ شكل طوق يخرج من منتصفه شكل الدبوس أو ريشة كذلك وبعضها تأخذ شكل الأهلة .

الأسلحة: وجد العديد من الأسلحة من السيوف والخناجر والطبر، التي لها مقابض من الذهب المُرصع بالأحجار الكريمة وشبة الكريمة.

التُحف المصنوعة من حجر اليشم:

لقد اهتم سلاطين المغول باستخدام حجر اليشم "الجاد" في صناعة بعض الأواني والأقداح الثمينة الخاصة بسلاطين المغول. واليشم حجر نصف كريم أو شبه كريم ، ويتنوع لونه من أبيض نقي تقريبًا ، أخضر زمردي إلى أخضر أسود داكن. وتعود مُعظم أنواع اليشم الهندي إلى الفترة ما بين القرنين ١١-١٣هـ/١٧-١٩م. وقد وصلنا العديد من الأواني والأدوات منها الأكواب، القدور، العلب، الصناديق ، الخواتم والحليات، أبازيم لحزام الكتاب ، مساند للذراع ومقابض ودبابيس شعر.

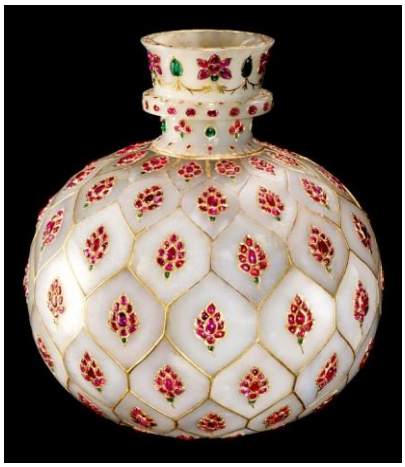

– زهرية من حجر اليشم مُرصع بالأسلاك الذهبية والياقوت والزمرد والكريستال من العصر المغولي الهندي بمجموعة الشيخة حصة في مُتحف دار الآثار الإسلامية بالكويت: وهي ذات بدن كروي بقاعدة مُسطحة ورقبة قصيرة أُسطوانية يتوسطها إطار بارز تتسع بعده الرقبة لتنتهي بفوهة مُستديرة. ويُزخرف البدن بأشكال سُداسية مُتلاصقة أشبه بخلايا النحل، يتوسط كل منها وريده لوزية الشكل مُتعددة الفصوص، وتُزخرف الرقبة بزخارف نباتية وذلك

بالألوان الأحمر الوردي والبنفسجي والأخضر على أرضية بيضاء.

- زوج من الخلخال من حجر اليشم المُرصع بالذهب والياقوت بزخرفة على هيئة الورقة النباتية اللوزية بمجموعة آل ثاني بقطر من شمال الهند ويؤرخ بسنة ١٨٠٠م).

عزيزي الطالب يجب عليك الآتي:

١-شرح النماذج بالتفصيل مع مقارنتها بغيرها في باقي العالم الإسلامي

٢-إلقاء الضوء على الطرز الفنية والمعمارية من خلال التحف

٣-إلقاء الضوء على تأثير المذهب الشيعي على الفنون الصفوية

٤-إلقاء الضوء على الأوضاع الاجتماعية و الاقتصادية والسياسية من خلال هذه التحف

٥-البحث في كتابك ومواقع الانترنت عن مزيد من التحف